

### **الفصل السادس - تدبر الآيات التي اعتزى بها الذابقرون ومنها الصحيح!**

١ - ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا الْحَرِيقَ ﴾ .

٢ - ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

٣ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ \* نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ \* نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾

٤ - ﴿ يُدَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾

٥ - ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ \* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾

٦ - ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾

٧ - ﴿ مِمَّا حَطَبْنَاهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾

٨ - ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا \* وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا \* إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ .

٩ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

١٠ - ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ \* كُلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كُلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* كُلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ \* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ \* ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ .

## الفصل السادس : الآيات التي اعتزى بها العذابييون ومعناها الصحيح :

### مَهَيِّدٌ

يقول حافظ بن أحمد حكيم في معارج القبول (٧١٧/٢) ملخصاً مذهب سلفه في إثبات عذاب القبر :

” ● قال الله تبارك وتعالى : (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) .

قال أئمة التفسير : (والملائكة باسطوا أيديهم) أي إليهم بالضرب والنكال وأنواع العذاب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ولهذا يقولون لهم : (أخرجوا أنفسكم) . وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم فتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى والخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم : (أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق) الأنعام ٩٣ . أي اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانتقاد لرسله . وسيأتي في الأحاديث كيفية احتضار المؤمن والكافر قريباً إن شاء الله ووجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئاً من ذلك ولا يسمعون شيئاً من ذلك النقر والتوبيخ ولا يدرون بشئ من ذلك الضرب غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه لا يعلمون بشئ مما يقاسون الشدائد فلأن يفعل به في قبره ذلك وأعظم منه ولا يعلمه من كشف عنه أولى وأظهر لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم فلا بد للمخالف من أحد أمرين إما أن يقر بما أخبر الله تعالى به في المحتضر فيلزمهم ما ورد في عذاب القبر ، أو يجحد

هذا وهذا فيكفر بتكذيبه الله ورسوله فبشره بتأويل هذه الآية إذا صار إلى ما صار إليه المكذبون .

● وقال : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) إبراهيم ٢٧ .

وهذه الآية نصها في عذاب القبر بصريح الأحاديث الآتية وباتفاق أئمة التفسير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وإن المراد بالثبوت هو عند السؤال في القبر حقيقة ، وأن من أنكر ذلك اعتمادا على كونه لا يراه ولا يسمعه فقد أنكر أن يكون الله يفعل ما يشاء .

● وقال تعالى : (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) .

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن عائشة رضي الله عنه أنها قالت ويل لأهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود أو دهم حية عند رأسه وحية عند رجله يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى : (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) المؤمنون ٩٩ . وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه في ذلك قريبا وسيأتي الأحاديث فيه .

● وقال تعالى : (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) غافر ١١ .

ذكر العيني هذه الآية في شرح هذا الباب من صحيح البخاري وقال فإن الله تعالى ذكر الموت مرتين وهما لا تتحققان إلا أن يكون في القبر حياة وموت حتى تكون إحدى الموتين ما يتحصل عقيب الحياة في الدنيا والأخرى ما يتحصل عقيب الحياة التي في القبر .

قلت : وهذا هو التفسير السدي في هذه الآية حيث قال أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخطبوا ثم أميتوا فأحيوا يوم القيامة . والآية تحتمله لكن المشهور عن ابن مسعود وابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم أن هذه الآية كقوله عز وجل : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) البقرة ٢٨ . وقد قدمنا الجمع بين هذين التفسيرين والله الحمد والمنة .

● وقال تعالى : (سنعذبهم مرتين) التوبة ١٠١ .

قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريج والحسن البصري وسعيد وقتادة وابن اسحاق ما حصله ان المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم هو عذاب النار .

● وقال تعالى : (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) .

قال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة يعني به عذاب القبر .

● وقال تعالى في قوم نوح : (مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) نوح ٢٥ .

● وقال تعالى : (وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) غافر ٤٦ .

روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت فتأوى إلى قناديل معلقة في العرش وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغزو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها . وفي حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه البيهقي وابن جرير وابن أبي حاتم من رواية أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه ثم انطلق بى إلى خلق كثير من خلق الله عز وجل رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وآل فرعون كالإبل المسمومة يخاطبون الحجارة والشجر ولا يعقلون . وفي حديث عائشة في قصة اليهودية التي قالت لها : وقاك الله من عذاب القبر فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك فلما رأت النبي صلى الله عليه وسلم قالت له فقال صلى الله عليه وسلم : لا . قالت عائشة رضي الله عنها ثم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك : وإنه أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم وسيأتي إن شاء الله قريبا .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فيقال ما الجمع بين هذا وبين كون الآية  
مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ ؟

والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوا وعشيا في  
البرزخ وليس فيها دلالة يعني تامة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور إذ  
قد يكون ذلك مختصا بالروح فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه  
بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية . وقد يقال : إن هذه  
الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يعذب  
المؤمن في قبره بذنبه . وهذا الجواب هو الراجح عندي لما يدل عليه قوله  
صلى الله عليه وسلم : إنما يفتن يهود وذلك قبل أن يوحى إليه أن أمته تقتل .  
والجواب الأول مرجح لأن الآيات أيضا صريحة في اتصال عذاب القبر  
بالروح والجسد ، وما ليس صريحا منها فمحتمل يحمل على الصريح إذ لم  
يجئ في آية تخصيصه بالروح دون الجسد ونفيه عن الجسد .

● وقال الله تعالى : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما  
كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم  
خالدين فلبئس مثوى المتكبرين) النحل ٢٩ .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم  
بأرواحهم وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها فإذا كان يوم القيامة  
سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم (لا يقضى عليهم فيموتوا  
ولا يخفف عنهم من عذابها) فاطر ٣٦ .

● وكذلك قال تعالى : (الذين تتوفاهم الملائكة يقولون سلام عليكم ادخلوا  
الجنة بما كنتم تعملون) النحل ٣٢ .

● وقال تعالى : (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية  
مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) الفجر ٢٨ " اهـ .

هذا هو ملخص فهم أهل الرواية للآيات التي حاولوا لي أعناقها لتفديد  
ما ذهبوا إليه . وواضح أن كل هذه الآيات لم تنصّ ولا مرة واحدة على  
وجود عذاب في القبر ، ولا للأموات ، ولكنه الإفلاس يتجسد في  
التأويل الفاسد . ولبيان فساد فهمهم للآيات فنقول وبالله التوفيق :



﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ﴾

### الآية الأولى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٤٧١) .

**تفسير الآية :** التصوير فى الآية منسجم مع ما سبق بيانه من حقائق قرآنية سابقة ، ولتدبر مفردات الآية :

### ﴿ " وَلَوْ تَرَى " :

وهى عبارة تكررت بالكتاب سبع مرات ، كلها عن مواقف مختلفة من مواقف يوم القيامة ، ومن ذلك :

١. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، و :

٢. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ، و :

٣. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ ، و :

٤. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ ، و :

5. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ .

والسادسة بالآية أعلاه ، والسابعة هي التالية وسناقشها في حينها .

### ❁ "بَيِّنَاتٌ" :

**التوفى لغة من الوفاء وهو التمام (٤٧٢) والاستيفاء وهو الاستكمال .**

يقال: وفى بعهدده إذا أتمه ، والوفاة أى : المنية والموت . وتوفى الميت أى : **استيفاء** مدته التى وفيت له وعدد أيامه وشهوره وأعوامه فى الدنيا . والله يتوفى الأنفس حين موتها أى: **يستوفى** مدد آجالهم فى الدنيا . وقيل : **يستوفى** تمام عددهم إلى يوم القيامة (٤٧٣) .

**التوفى شرعاً : هو أيضاً من الوفاء والاستيفاء ، ويأتى على أوجه كثيرة :**

٤٧٢ - قال ابن منظور فى اللسان : وفى : الوفاء : ضد الغدر ، يقال : وفى بعهدده وأوفى بمعنى ، . . ، " ، ثم : " قال شمر : يقال وفى وأوفى ، **فمن قال وفى فإنه يقول تم** كقولك وفى لنا فلان **أي تم لنا** قوله ولم يغدر . وفى هذا الطعام قفيزاً ، قال الحطيئة : وفى كيل لا نيب ولا بكرات **أي تم** . قال : ومن قال أوفى فمعناه أوفاني حقه **أي أتمه** ولم ينقص منه شيئاً ، وكذلك أوفى الكيل أى أتمه ولم ينقص منه شيئاً " ، ثم : " يقال : وفى الكيل ووفى الشئ أى تم ، وأوفيته أنا أتممته ، قال الله تعالى : وأوفوا الكيل " ، ثم : " وفى الشئ وفياً على فعمل **أي تم** وكثر . والوفى : الوافى . قال : وأما قولهم وفى لي فلان بما ضمن لي فهذا من باب أوفيت له بكذا وكذا ووفيت له بكذا " . ثم : "

٤٧٣ - قال ابن منظور فى اللسان : "وتوفى المدة : بلغها واستكملها " ، ثم : " ووافى فلان: أتى . وتوافى القوم : تتاموا . ووافيت فلاناً بمكان كذا . وفى الشئ : كثر ، وفى ريش الجناح فهو واف ، **وكل شئ بلغ تمام الكمال فقد وفى وتم** . " والوفاة : المنية . والوفاة : الموت . وتوفى فلان وتوفاه الله إذا قبض نفسه ، وفى الصحاح : إذا قبض روحه ، وقال غيره : **توفى الميت استيفاء مدته** التى وفيت له وعدد أيامه وشهوره وأعوامه فى الدنيا . **وتوفيت المال منه واستوفيته إذا أخذته كله** . وتوفيت عدد القوم إذا عددتهم كلهم " .

ثم : " وأوفى الرجل حقه ووفاه إياه بمعنى : أكمله له وأعطاه وافياً . وفى التنزيل العزيز : ووجد الله عنده فوفاه حسابه " . ثم : " **وتوفاه هو منه واستوفاه** : لم يدع منه شيئاً . ويقال أوفيته حقه ووفيته أجره . وفى الكيل وأوفاه : أتمه " . وانظر لسان العرب : (٣٩٨/١٥) .  
ويقول أبى البقاء فى الكليات : " التوفى : الإماتة وقبض الروح ، وعليه استعمال العامة . أو الاستيفاء وأخذ الحق ، وعليه استعمال البلغاء " ، وانظر : الكليات لأبى البقاء : (٣١٣) .



١- **التوفى بمعنى استيفاء الأنفس عند الموت** ، لقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (٤٧٤) .

٢- **التوفى بمعنى استيفاء الأنفس عند النوم** ، لقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ .

٣ - **التوفى بمعنى استيفاء النفس مع أنفس أخرى** (عالية المنزلة) ، لقوله تعالى وهو ينقل قول أولى الألباب :

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (٤٧٥) .

وهو بمعنى اللهم استوفنا مع الأبرار بغفرانك لنا ، وبرحمتك إيانا .

٤- **التوفى بمعنى استيفاء الجزاء** ، لقوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٤٧٦) .

٥- **التوفى بمعنى استيفاء أهل النار للنار وأهل الجنة للجنة** ، وهو هنا فى الآية ، ومثيلاتها .

﴿ بِضَرْبُونِ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ :

وهو ضرب على الحقيقة ، ورد فى القرآن بموضعين خاصين بيوم القيامة عند توفى الكفار للنار هذه الآية إحداها والثانية بسورة محمد .

﴿ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ :

٤٧٤- سورة (٣٩) الزمر : ٤٢ .

٤٧٥- سورة آل عمران : ١٩٣ .

٤٧٦- سورة النحل : ١١١ .

وهو عذاب يوم القيامة ، وذلك كما قال سبحانه :  
﴿ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٤٧٧) . و :  
﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾  
(٤٧٨) .

### ❁ " ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ " : ❁

فلو استكملنا الآية التالية :  
﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا  
عَذَابَ الْحَرِيقِ ❁ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ .  
سنلاحظ أن ضرب الوجوه والأدبار ترتب على ما قدم الكافر من عمل.  
ومعلوم أن **نتيجة الأعمال** تُعرف يوم القيامة **بعد** الانتهاء من **مرحلة الوزن** .  
**ولكن الكفار لا يقام لهم يوم القيامة وزن :**  
﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ .

### ولذا قال سبحانه :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ❁ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا  
مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٤٧٩) .  
وهو مستمر في إظهار أن هذا الضرب للوجوه والأدبار حدث بعد الانتهاء من  
مرحلة وزن الأعمال ، وإحباط الله تعالى لأعمال الكفار (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) .

### ❁ فيكون المعنى الكامل للآية هو : ❁

- 
- ٤٧٧ - سورة (٢٢) الحج : ٩ .  
٤٧٨ - سورة (٢٢) الحج : ٢٢ .  
٤٧٩ - سورة (٤٧) محمد : ٢٧ - ٢٨ .

ولو ترى يا محمد هذا المشهد من مشاهد الآخرة والملائكة تتوفى الكفار إلى جهنم ، تضرب وجوههم وأدبارهم (والعياذ بالله) فهيا ذوقوا عذاب الحريق بما ظلمتم أنفسكم ، وقدمتم لها ، بعد أن أحبطنا أعمالكم .

### **تنبيه رقم (١) :**

كان فضيلة **الأستاذ الدكتور إسماعيل منصور** قد صنف مؤلفاً في تكذيب عذاب القبر ، سماه :

**" شفاء الصدر بنفى عذاب القبر " (٤٨٠) .**

وبرغم صحة عنوان الكتاب إلا أنه **فسر هذه الآية** (وغيرها من الآيات) **تفسيراً خطأ** فجعل نصفها واقع حال الاحتضار ، والنصف الثانى فى الآخرة ، **مخالفاً بذلك اثنين :**

١- **أهل الرواية** الذين جعلوا الآية كلها فى إثبات عذاب القبر .

٢- **وكتاب الله** الذى جعلها كلها عن يوم القيامة .

وإن العجب ليتعاضم لقول فضيلته عن مثبتى عذاب القبر بهذه الآية :

**" ولو التزموا الدقة عندئذ لجعلوا معنى النصّ دالاً على إثبات زائد هو (عذاب الحريق) بخلاف العذاب الأول فى النصّ وهو (عذاب الضرب عند الاحتضار) وهو المسلك العلمى الدقيق ! لكنهم أضافوا رغبتهم إلى معنى النصّ فزعموا أنه يدل على عذاب القبر ! ولا ندرى من أين أتوا بذلك " (٤٨١) اهـ .**

فأين هو المسلك العلمى الدقيق فى القول بأن هذا المشهد نصفه عند الاحتضار ، ونصفه الآخر يوم القيامة ؟!

وأين هو التزام الدقة الذى طلب فضيلته من غيره الالتزام به ؟!

---

٤٨٠- ويقع فى " ١١٣٠ " ألف ومائة وثلاثين صفحة .

٤٨١- انظر : شفاء الصدر لإسماعيل منصور : (٢٠٥/١) .

ألم يضيف فضيلته رغبته إلى معنى النص ؟!  
ومن أين له القول بأن الملائكة تضرب وجوه وأدبار الكفار وهم على فراش  
الموت ؟!

وبأى سلطان نقل الخطاب على الفور ليكون يوم القيامة ؟!

**وأقول :** إن هذا البحث الذى قام به فضيلته للآية يمكن قسمه لنصفين .  
النصف الأول منه لا يُعتبر به ، ولا يُحتذى به ، ولا يُحسب على تدبر  
القرآن ، أما النصف الآخر فصحيح . والذى حدا به أن يسلك هذا المسلك فى  
التفسير هو اقتصار معنى التوفى عنده على الموت والنوم فقط ، وهو (كما علمنا  
من الحقائق القرآنية الإحدى عشرة السابقة) خطأ .

وقد ناقشته شفويًا فى معنى التوفى فرفض ما طرحته ، وقصر الوفاة على  
الموت والنوم زاعمًا اختلاف الجذر بين الوفاة والتوفى . وهذا قد تبين مخالفته  
للوارد عند اللغويين ، وغير منسجم تصورًا ، ولا أساس علمى له . وقد جعله  
تفسيره الخطأ هذا للآية متوافق جزئيًا مع العذابقبريين فى فساد فهمهم  
لمعانيها. بل قام باستخدام مبضعه ليقطع السياق فى الآية إلى قسمين غير  
متجانسين تمامًا ، وهذا تكرر منه كما سيأتى .

#### **الدليل العقلى على فساد تفسير التوفى (فى الآية) بالموت :**

القائل بعكس دلالة الآية ، ويُصر على أنها عقاب دنيوى لا بد له من جملة  
من المجازفات :

- فيفترض القائل بعقاب الكفار عند الاحتضار أن الكفار كلهم  
يحتضرون بما يسمح بضرب وجوههم وأدبارهم ، مع أن الكثير جدًا  
منهم لا يحتضرون ، بل يموتون فجأة فى التو !

وقد يُقال فى ذلك : إن الله تعالى قال عن الإنسان : (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ)  
(٤٨٢) مع أنه من المعلوم أن كثير من الناس لا يُقبرون . فنقول : هنا فرقان :

---

٤٨٢ - سورة (٨٠) عبس : ٢١ .

**الأول :** أن القبر فى الآفة أوسع من انتباه الناظر ، باعتبار أن الأرض عموماً هى قبر للميت ، سواء فى قاع المحيط ، أو فوق الأرض إلى حين ، كالمومياوات وغيرها .

**والثانى :** هو أن الاحتضار المذكور فى تفسير الآفة هو من بنات أفكار القائل ، ولا وجه للحق فيه .

- ولو قال بضرب بعض دون بعض فقد أخرج مدلول الآفة من عمومها إلى خصوصه دون مخصص إلا أوهامه .

- ويفترض أن هذا الضرب لا يؤثر فى وجه الكافر أو دبره ، ولذا لا يلحظه المحيطون به . وهو يشابه بذلك العذابقبريين فى قولهم بضرب الميت " بمطرقة منكر الحديدية " من وجهين :

الأول : أن المطرقة لا تترك أثراً بزعمهم على الجثة .

والثانى : أن الضرب من بنات أفكارهم .

- ويفترض إمكانية ضرب دبر الكافر بينما هو نائم عليه ، فلا يحتاج الضرب إلى مساحة مكانية تسمح بتحريك أداة الضرب . مع أن كل أنواع العذاب فى الآخرة مستغرقة فى المكان بدءاً من جهنم ، وانتهاءً بالمقامع ، والسلاسل . . . الخ .

ويستقيم الأمر فى كل ما سبق بأن يكون هذا الضرب فى الآخرة ؛ فيشترك فيه كل الكفار ، ويؤثر فى وجه الكافر كيفما يؤثر ، وتتوفر المساحة المكانية ، وهكذا .

● ويمكننا أن نفهم بنفس الطريقة قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ

مَتَّوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٤٨٣﴾ .

وهو أيضاً تصوير لموقف من مواقف يوم القيامة . فالملائكة تتوفى فريق جهنم إلى مصيرهم المحتوم ، فيقول أعضاء الفريق بعد أن علموا نتيجة أعمالهم أنها من جنس السوء الذى نُهوا عنه : ما كنا نعمل من سوء ، فيرد الملائكة الموكلون بتوفيتهم : بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون ، فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها بما كسبتم .

#### ● وأيضاً سنفهم بنفس الطريقة قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٨٤) .

وهو مشابه تماماً للموقف السابق فى كونه زماناً يوم القيامة ، وبعد معرفة نتائج الأعمال ، ولكن هذه المرة المتوفون هم من أفراد الفريق الفائز (نسأل الله أن يجعلنا منهم) .

#### ● وأيضاً فى قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ صَيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ .

---

٤٨٣ - سورة (١٦) النحل : ٢٨ - ٢٩ .  
٤٨٤ - سورة (١٦) النحل : ٣٢ .

والفرق هنا في أن هذا الفريق الجهنمي سيعترف على نفسه بالكفر ، بخلاف الفريق الجهنمي السابق ، وهو مما يستدل منه على أن فريقاً ممن سيخلدون في جهنم (والعياذ بالله) كان يظن نفسه في الدنيا على الحق ، ولكنه فوجئ يوم القيامة بأنه لم يكن على شيء . وهذا ما سندشير إليه في الخاتمة .

فالدلالة إذن في كل هذه الآيات هي عن التوفى (بمعنى الاستيفاء) إلى الجنة أو إلى جهنم بحسب النص ، والخطاب يوم القيامة في كل الآيات .

**﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو**

### **الآية الثانية :**

**أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٤٨٥) .**

**تفسير الآية :** التصوير في الآية منسجم مع ما سبق بيانه من حقائق ، ولنتدبر مفردات الآية :

**﴿ " ولوترى " :**

هذه هي الآية السابعة التي يأتى بها هذا اللفظ وكلها (كما سبق بيانه)

قيلت في مواقف خاصة بيوم القيامة (٤٨٦) .

### ❁ "الظَّالِمُونَ" :

وهم هنا كما جاء بالآية : الذين عاشوا حياتهم وهم يقولون على الله غير الحق ، ويكذبون عليه سبحانه ، وينسبون إليه الكذب ، وإذا ما دعوا إلى آيات الله ليحتكموا إليها وليعملوا بها استكبروا عنها ، وتمسكوا بالكذب على الله .

### ❁ "غَمَرَاتِ الْمَوْتِ" :

فالعذاب المادى المحسوس على ضربين (زماناً ومكاناً) :

- عذاب الدنيا ، وينتهى بموت المُعَذَّب ، أو كف المُعَذَّب .
- عذاب الآخرة بجهنم ، ولا ينتهى بموت المُعَذَّب ولا يكف عنه المُعَذَّب .

يقول الرحمن الرحيم :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ۝ ﴾ (٤٨٧) .

وهو كقوله تعالى عن تمنى الكافر الموت للتخلص من العذاب :

﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُذْتُ تُرَابًا ۝ ﴾

ثم إن عذاب الناس يوم القيامة لا ينتهى بموت المُعَذَّب وإن كان

---

٤٨٦ - قال ابن منظور في لسان العرب (٤٦٣/١٥) : " قال الليث في قوله تعالى : ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ، معناه إذا الظالمون لأن هذا الأمر منتظر لم يقع " .

وقال الزبيدي في تاج العروس (٤٢٤/١٠) : " ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ، معناه إذ الآن هذا الأمر منتظر " .

٤٨٧ - سورة (٣٥) فاطر : ٣٦ .



شديداً وكثيراً وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۖ مِّنْ وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ۖ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (٤٨٨) .

فهو موت كثير ، وشديد يأتى الكافر من كل مكان . ولما كان الموت فى الدنيا موتاً واحداً يُنهى الحياة (فقط) فقد جاء بلفظ : (سَكْرَةُ الْمَوْتِ) لا سكرات الموت ، كما فى قوله تعالى :

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

ولكن لما كان يوم القيامة موت كثير وله شدائد لا تنتهى فقد أطلق عليه : غمرات بدلاً من سكرة أو غمرة .

إذن ف " غمرات الموت " هى كثرة الموت ، والموت الشديد الذى لا يقارن بموت الدنيا ، وهو نظير قوله تعالى :

﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ .

**﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ :**

أى بهذا العذاب الشديد والموت الغامر .

**﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴾ :**

فالكفار يريدون الخروج من العذاب فلا يستطيعون ، ولذا فالملائكة تزيدهم غما على غم وتقول لهم :

أخرجوا أنفسكم لو تستطيعون . . اليوم تجزون العذاب الأوفى بما قدمت أيديكم من سوء .

---

٤٨٨ - سورة (١٤) إبراهيم : ١٥ - ١٧ .

والخروج لا يكون من الموت عند الاحتضار كما ظن البعض ممن تعجلوا فهم الآية ، وإنما يكون من النار التي دخلها هؤلاء :

يقول سبحانه :

﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَاصِرِينَ ﴾ \* ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (٤٨٩) .

ويقول جلَّ جلاله :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾ (٤٩٠) .

ويقول ﷻ :

﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ (٤٩١) .

### ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ﴾ :

يُقصد به يوم القيامة ، وهو يوم الجزاء .

قال سبحانه مبيناً أن يوم الجزاء هو يوم القيامة :

﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٩٢) ، و :

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (٤٩٣) ، و :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

---

٤٨٩- سورة (٤٥) الجاثية : ٣٤ - ٣٥ .

٤٩٠- سورة (٥) المائدة : ٣٧ .

٤٩١- سورة (٣٢) السجدة : ٢ .

٤٩٢- سورة (٤٥) الجاثية : ٢٨ .

٤٩٣- سورة (٤٠) غافر : ١٧ .

يُظْلَمُونَ ﴿٤٩٤﴾ .

والآيات فى إثبات هذا المضمون أكثر من أن يستوعبها هذا المقام الضيق .

### ❁ عَذَابَ الْهُونِ " :

وهو المذكور هنا فى هذه الآية :

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

وهو كقوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (٤٩٥) .

### ❁ ويكون المعنى الكامل للآية هو : ❁

**ولوترى يا محمد هذا المشهد من مشاهد الآخرة إذ الظالمون يعانون من الموت الكثير الذى يأتيهم من كل مكان ، والملائكة باسطوا أيديهم بهذا العذاب (المادى) الشديد ، إضافة للعذاب المعنوى المتمثل فى تبيئيسهم من الخروج من هذا الموت الذى لا ينتهى بقولهم لهم : أخرجوا أنفسكم من هذا الموت الغامر لو تستطيعون .**

---

٤٩٤ - سورة (٢) البقرة : ٢٨١ .

٤٩٥ - سورة (٤٠) غافر : ١٧ .

قد جاء هذا اليوم الذى تجازون فيه على ما قدمتم  
لأنفسكم من القول على الله غير الحق ، وكذتم عن آيات  
الله تستكبرون .

### **تنبيه رقم (٢) :**

كرر الدكتور إسماعيل منصور خطأه الذى بدأه فى الآية السابقة ؛  
فقسم الآية هنا أيضاً لنصفين ، نصف يتكلم عن ساعة الاحتضار ،  
والنصف الآخر يتكلم عن مشهد من مشاهد يوم القيامة .

ويُرد على خطئه هذا بما سبق فى تدبر هذه الآية ، إضافة للكثير مما  
ورد إبان تدبرنا للآية السابقة ، وما ذكرناه فى آخر السطور للرد على  
فضيلته .

ثم من أين لفضيلته بأن قوله تعالى :

﴿ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾

يعدل قوله تعالى :

﴿ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ﴾ ؟!

ألا يجد فرقاً بين السكره والغمرات ؟!

هل هذا هو التدقيق الذى زعمه فضيلته فى سطره وهو يُفسر الآية ،  
ويدعو غيره للاقتداء بطريقته (على أساس أنها هى المسلك العلمى  
الواجب اتباعه) ؟!

ثم من أين له القول بأن

﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ﴾

تعنى أخرجوا أنفسكم من أجسادكم ؟!

بينما كان الأقرب للفهم أن يقول إنها تعنى :  
" أخرجوا أنفسكم من هذا العذاب الذى صرتم إليه بما كسبت  
أيديكم " .



﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾

### الآية الثالثة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا  
تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ \* نَحْنُ  
أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ  
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ \* نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ (٤٩٦) .

**تفسير الآية :** لنتدبر أولاً مفردات الآية :

٤٩٦ - سورة (٤١) فصلت : ٣٠ - ٣٢ .

## ❁ "ثم استقاموا" :

فقد جاء الأمر للرسول ومن معه من المؤمنين بالاستقامة :

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

ومعلوم أن نتيجة أعمال المأمورين بالاستقامة ممن كانوا مع الرسول أو من يلونهم ستعرف يوم القيامة بعد وزن الأعمال واستلام الكتب . يقول عالم الغيب والشهادة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

فبين سبحانه أن جنة الخلد لمن استقاموا كانت جزاء لأعمالهم (جزاءً بما كانوا يعملون) . فتبشير الملائكة لهم بالجنة يقع بعد وزن الأعمال ، ومعرفتهم لنتيجتها ، حين يصطحبونهم ليتوفونهم للجنة .

## ❁ "تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا" :

والملائكة يقولون لهم هذا عند تلقيهم لهم يوم القيامة ، وذلك كما جاء بقوله تعالى :

﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ .

## ❁ "وَابْشُرُوا" :

فالملائكة يطمنونهم ويبشرونهم كما هو هنا :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا

تَحْزَنُوا وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٤٠﴾ .

**والبشرى** هى إخبار عما سيقع فيما هو آت ، وتكون للمؤمنين فى الدنيا وفى الآخرة ، ولكنها تكون فى الدنيا فى حياتهم وليس حال الاحتضار كما يقول أهل الروايات ، والدكتور إسماعيل منصور .  
ولأن المؤمنين يصدقون ربهم فهم على يقين من تحقق وعوده ، ولذا فقد تحققت البشرى فى حقهم عندما وعدهم ربهم بالجنة .

يقول الوهاب سبحانه :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿٤١﴾

**فأما فى الدنيا** فيكون **بكتاب ربهم** :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وكلك فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ .

وكلك فى قوله الواحد :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

والآيات بخلاف ذلك كثيرة فى بيان البشرى فى الدنيا للمؤمنين بالكتاب ، وبالرسول لمن كانوا معه .

**والبشرى فى الآخرة** (ذكرتها الآية التى نناقشها هى وما يشابهها) **وتكون بالملأنة** .

## ❁ "الَّتِي كُنْتُمْ تُوعِدُونَ" :

أى التى كنتم توعدون من قبل فى الدنيا ، فلفظ " كنتم " بصيغة الماضى يندسج مع بقية سياق الآية ، والتصوير بدأ يوم القيامة ، ومستمر فى سرد بعض الحوادث هناك .

## ❁ "وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ" :

وهو تودد من الملائكة إلى المؤمنين الذين فرغوا من الحساب وفازوا بالجنة ، وهم يتوفونهم إليها ، فيقولون لهم :

أبشروا بالجنة التى وُعدتموها ، إننا أولياؤكم فى الحياة الدنيا ، كما نحن أولياؤكم فى الحياة الآخرة .

وتستغرق فى التبشير بالجنة بأن تحدث هؤلاء المؤمنون عن بعض ما فيها ، فيقولون لهم :

إنكم ستجدون فيها ما تتمنونه وتشتهيهِ أنفسكم ، مقاماً لكم من ربكم الغفور الرحيم .

ولو نظرنا للآية فى سياقها بالكتاب لتعمق فهمنا أكثر لمسألة تصويرها لمواقف الآخرة :

يقول سبحانه :

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ \* حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ \* وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾



\* فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ \*  
 وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ  
 الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ \*  
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ \*  
 فَلَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ \*  
 ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا  
 يَجْحَدُونَ \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَبْنَا الدِّينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ  
 نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ \* إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ  
 اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ  
 الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ \* نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ  
 فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ \* نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٤٩٧﴾

وواضح مما سبق أن ما جاء بالآية كان جزءاً من سرد بعض مشاهد  
 يوم القيامة ، كقوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ﴾ إلى آخر الآيات .

فخطاب الملائكة لهم - مع عدم الفصل عن السياق - هو فى الآخرة ،  
 أثناء توفيتهم لهم للجنة التى كانوا يُوعدون .

### **تنبيه رقم (٣) :**

وقد أخطأ الدكتور إسماعيل منصور هنا أيضاً فى استدلاله بالآية على أن  
 الخطاب فيها من الملائكة يكون للمؤمنين حال الاحتضار . بل وقال :

---

٤٩٧ - سورة (٤١) فصلت : ٣٠ - ٣٢ .

” وهذا مدلول النصّ دون خلاف ” .

بل بخلاف يا سيدي ، وهو كما رأيت . بل إن القول باختصاص الخطاب بساعة الاحتضار هو مجازفة غير محسوبة ، وبعد عن التدبر اللازم لمن يدرس الآيات .

ويقول فضيلته :

” والسياق يدل على أن تنزل الملائكة عليهم يكون في حال الاحتضار : حيث يكون المؤمن على وشك مفارقة الدنيا ، ودليله قول الملائكة لهم :

﴿ **وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ وفيه نجد أن تعبير (كنتم توعدون) يناسب ذلك ” .

إذن فقد تورك فضيلته على ورود عبارة : ” كنتم توعدون ” في إفادة زمن الاحتضار ، آذناً غيره أن يقلده فيما سلك .

**أفلا يحتمل يا سيدي أن يكون القول حادث يوم القيامة ، وتكون العبارة :**

” كنتم توعدون ” **تعني :**

” وأبشروا الآن بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا ” ؟!

**وهل الصحيح** يا مولانا هو أن تقول الملائكة للناس في الدنيا :

” أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا ” ، بينما هم لا يزالون في الدنيا ؟!

**أمر الأصح** أن يُقال :

إنهم يقولون ذلك بعد زوال الدنيا وفي الآخرة ؟!

**وهل الصحيح** يا مولانا هو أن تقول الملائكة للناس قبل الحساب

ووزن الأعمال :

” أبشروا بالجنة التى كنتم توعدون فى الدنيا ” ، بينما هم لا يزالون فى الموقف لم يحاسبوا بعد ؟!

أهم الأصح أن يُقال : إنهم يقولون ذلك فى الآخرة بعد وزن الأعمال ومعرفة المآل ؟!

ويكون قولهم أبشروا بالجنة التى كنتم توعدون فى الدنيا هو كلام عن الماضى المناسب للحاضر آنذاك ؟!

ولو أخذ فضيلته بالآية فى سياقها بالكتاب لما حدث معه ما حدث ، ولو تنبه فضيلته للآيات السابقة التى تتكلم عن يوم القيامة لما فصلها بمبضعه لتساير وهمه فى كونها ساعة الاحتضار .

وكنتم أتمنى أن يُخبرنا فضيلته عن مرجعيته فى القول بالاحتضار .

وننتقل للآية التالية بعد احتضار القول بالاحتضار .



يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ

#### الآية الرابعة :

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الْآخِرَةَ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٩٨﴾ .

**تفسير الآية :** لنتدبر أولاً مفردات الآية :

**﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ﴾ :**

لما كانت الدنيا هي الدار التي يختلط فيها الحق بالباطل ، ويجد نفسه فيها كل مخاتل ، فقد راح أهل الزيف يُزينون باطلهم مستعينين بكثرتهم ، ومتشدقين بلباقتهم ، حتى ادلهمت الخطوب ، وأظلم النفق ، وخاض الجهلة في بحور المتاهات ، وتسربلوا بجلاليل الشبهات ، ولما صار البحر لجيئاً وتراكمت ظلماته جاء مدد الإله سبحانه بكتابهِ ، ليبدد الباطل ، ويهدي المؤمنين إلى سواء السبيل ، ويثبتهم عليه إلى يوم يلقونه .

**﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ :**

وهو القول الراسخ الصحيح ، الذي لا يغيره مرور زمان ، أو تغير مكان ، ولا تظهر حقائق أخرى تغير منه ولا مثقال حبة من خردل . وهو وصف لا يتأتى إلا للكتاب الذي قال عنه منزله سبحانه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤٩٩﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤٩٩) .

والرسول نفسه F ثبته الله تعالى في الدنيا بهذا القول الثابت ، فقال سبحانه :

﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

٤٩٨ - سورة (٤٠) غافر : ١٧ .

٤٩٩ - سورة (٤٠) غافر : ١٧ .

ونزله عليه سبحانه مفرقاً على الحوادث ليثبت به على مدار البعثة الشريفة :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ .

فهو كتاب ثابت يحتوى على كلام الله (وهو قول ثابت) ، لا يتغير ولا يتبدل ، وفيه الحق (الثابت أيضاً) ومعايير الخير والشر ، وما ذكره الله مما قضاة في كونه من سنن لا تبدل لها . أنزله مالك يوم الدين ليثبت به المؤمنين في الدارين .

يقول من أعبد وبه أستعين :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٥٠٠) .

### ❁ " وَفِي الْآخِرَةِ " :

فبهذا القول الثابت الذى هو كتاب الله وما به من حق تكونت عقلية المؤمن به ، فأصبح به ينطق ، ومنه يفصل ، وفى بحاره يغوص ، وإذا سئل فيه يُجيب ، وبمنصوصه يلبي ، وبأحكامه يتعبد ، حتى قصص الغابرين به يعلمها ، ومنه يعتبر بها .

فإذا ما انتقل للآخرة فسيتكلم وينطق بهذه العقلية المتثبته بالقول الثابت ، حتى إذا ما سُئل يوم القيامة عن حق أجاب بما فى هذا القول الثابت من حق :

﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ

اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴿٥٠١﴾ .

فها هم المتقون قد ثبتهم الله تعالى بالقول الثابت في الآخرة ، وقالوا حقاً ،  
لم يكونوا ليقولوه لولا هذا التثبيت .

ويصور الله تعالى هذه الحقيقة في أكثر من مكان من كتابه المبين ، فيقول  
جل وعلا :

﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ  
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٥٠٢) .

وهنا نجد أن الذين أوتوا العلم (وهو ما أنزل إليهم من ربهم) قد أجابوا  
بالحق الذي أعلمهم به ربهم قبلاً في الدنيا ، ولذا وصفهم ربهم سبحانه بالذين  
أوتوا العلم .

وقد أفاض هؤلاء العلماء من علمهم على الجهلة الذين كانوا في غفلة من  
الكتاب ، ولكن بعد أن صار هذا العلم لا يُفيد هؤلاء الأشقياء في شيء ، فيقول  
علام الغيوب :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ  
فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٥٠٣) .

فهاهم المؤمنون قد ثبتهم الله تعالى بكرمه ومنه بالقول الثابت في الحياة الدنيا ، وفي  
الآخرة ، فلا يقولون إلا حقاً ، ولا ينطقون إلا علماً .



501- سورة النحل : ٣٠ .

502- سورة النحل : ٢٧ .

503- سورة الروم : ٥٦ .



النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا



الآية الخامسة :

﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۖ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (٥٠٤) .

**تفسير الآية :** لنتدبر أولاً مفردات الآية :

### ❁ " آل فِرْعَوْنَ " :

جاء ذكر آل فرعون بالكتاب **ثلاث عشرة مرة** ، وقد صورهم سبحانه في هذه الآيات بما كانوا عليه من كفر بواح ، وبطش شديد ، وقسوة متناهية ، حتى أنهم سمحوا لأنفسهم بذبح الأطفال من بنى إسرائيل ، وبانتهاك حرمت نسائهم ، وبالتسلط عليهم تمامًا حتى إنهم ليفعلون بهم ما يشاءون . ومن ذلك :

### **قسوة فرعون وآله :**

لم يذكر الله تعالى بكتابه العزيز قسوة أشد من قسوة فرعون وآله !  
يقول الرحمن الرحيم :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ ﴾ .

### **عظم كفر فرعون وآله :**

لم يكن كفر آل فرعون كفرًا عاديًا ، بل كان كفرًا عظيمًا ، واستكبارًا في الأرض وعلوًا وفسادًا . ولما أرسل الله تعالى موسى وهارون إلى آل فرعون وطاغيتهن ومعبودهم فرعون أمرهما أن يخاطباه في لين ، لا سيما أنه لم يعتد على من يضعه في مكانه الحق كبشر عبد . يقول فالق الإصباح :

---

٥٠٤- سورة (٤٠) غافر : ٤٥ - ٤٦ .



﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ .

ثم يقول بعدها :

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴾ .

ثم بين سبحانه إصرار فرعون وآله على الكفر والجحود :

﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ .

﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ .

#### **إمهال الله لفرعون وآله :**

أمهل الله تعالى آل فرعون سنوات وسنوات ، عليهم يعودون عما هم عليه من كفر وبطش ، وابتلاهم بالجوع ونقص الثمرات :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ .

ولكن كان ردهم على موسى عليه السلام هو الاستعلاء والاستكبار ، فقالوا :

﴿ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

فأرسل الله فعلاً عليهم الآية تلو الأخرى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾

ولما وقع عليهم العذاب هرعوا إلى موسى يسألونه أن يدعوا الله برفع الرجز عنهم ، وسيفعلون ما يؤمرون به من الله . فلما أجابهم موسى لذلك وارتفع عنهم العذاب نكصوا وغدروا ، وهكذا الكفار يكونون :

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن

كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ  
الرَّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغَوَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١١﴾ .

لقد فجر فرعون وآله برغم كل الآيات التي أرسلها الله لهم ، وبرغم  
تحول السحرة أمامه من الكفر للإيمان . بل وتهكم على موسى عليه السلام  
وعلى مرسله سبحانه فقال للمجرم هامان وزير الشر :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ  
عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ  
الْكَاذِبِينَ ﴾ .

### مكر فرعون وآله :

لما علم فرعون أنه خاسر في معركة المواجهة مع موسى قرر التخلص  
منه بقتله بحجة أن موسى سيُفسد على آل فرعون العبادة الحقبة التي  
هم عليها ، فقال فرعون وهو غير مكترث بإله موسى سبحانه :  
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ  
أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ .

وبرغم أن الله تعالى أنطق رجلاً كان مؤمناً من آل فرعون أنفسهم  
بالحق إلا أن فرعون استمر في غيه وفساده حتى هلك هو وآله :

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي  
اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا  
يُصِيبُكُمْ بِهِ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿١٢﴾ يَأْقُومُ لَكُمْ  
الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ  
مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَأْقُومُ إِنِّي  
أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿١٤﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ

بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ \* وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِي \* يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ \* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا \* كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ \* الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ \* وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَآمَانُ ابْنُ لِي صِرْ حَا لِعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ \* أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ \* وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَأْقَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ \* يَأْقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ \* مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ \* تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ \* لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ \* فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ \* فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ \* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٣١٥﴾ .

إذن ففرعون متمعن ومتعمق في الكفر والعصيان هو وآله لدرجة غير مسبوقة ، ولذا كانت أوضاعه خاصة في إنهاء ملكه وطغيانه ، وأيضا ما بعد موته سواء في الدنيا بجثته ، أو في الدنيا وراء البرزخ ، أو يوم القيامة ، ومن ذلك :

**غناء فرعون قبل الموت :**

فعندما جاوز الله بموسى ومن معه البحر كان هناك مشهد عظيم ينتظر فرعون ، فقد وصل فرعون فى إثر موسى فوجد البحر العميق قد انفلق ، وصار كل فرق كالطود العظيم . وقد كان ذلك كفيل بتراجعه لديره فضلاً عن إيمانه بالله ، ولكنه بغبائه خاض فى البحر بين الطودين :

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ .

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ﴾ .

### غناء فرعون عند الموت :

وعندما أدرك فرعون الغرق راح يؤمن ، ظناً منه أنه بكلمات يقولها سينجو من عقاب الله . غبى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥٠﴾ آَلَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

**نجاة بدن فرعون :** فبعد أن أغرق الله تعالى فرعون أنجى بدنه ليكون لمن خلفه آية ، يقول العلى العزيز :

﴿ فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً ﴾ .

إذن فقد نجا بدن فرعون ليتعظ من خلفه ممن كانوا يرونه شيئاً مختلفاً ، وهاهو يرقد لا يحرك ساكناً . فأى إله هو هذا الميت المختنق غرقاً ، والذى لم يستطع أن يدفع عن نفسه بعض الماء ؟!

### ❁ "سوء العذاب" :

فقد تغفن فرعون وآله فى تكييل سوء العذاب لغيرهم ، وبلغوا من الكفر والطغيان مبلغاً لم يبارهم فيه غيرهم ، ولذا فقد استحقوا من الله تعالى سوء العذاب ، وسيخصهم الله تعالى منه بما لم يذكره لغيرهم :

## ❁ "النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا" :

فقد علمنا من الحقائق القرآنية السابقة أن الأنفس عند توفيتها من الدنيا تذهب خلف حاجز مذيع (برزخ) ، لا تغادره حتى يوم البعث ، ولكن الله تعالى وهو الذى يُعلمنا الغيب استثنى من هذه القاعدة الذين يُقتلون فى سبيل الله ، كما استثنى آل فرعون ، وللبيان :

**الشهداء :** استثنى الله تعالى الشهيد من قوانين الموتى .

فالشهيد هو إنسان مؤمن صالح ، تفانى فى الطاعة والعبادة حتى لم يجد إلا أن وجود بحياته فى سبيل الله . والناس يعتبرونه ميتاً بطبيعة الحال ، ولكنه عند الله شيء آخر . فهو حيّ ، يرزقه الله تعالى من فضله الواسع (٥٠٥) :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾

**إذن فالشاهد (الذى يعلمه الله تعالى وحده) :**

١- حيّ (بدون جسده الدنيوى) عند ربه .

٢- يُرزق .

---

٥٠٥- ولكن لا يعلم حقيقة أنه شهيد إلا الله تعالى ، فهو المطلع على الأعمال ، والنيات ، ولا يتعارض ذلك مع قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ ﴾ . فالنهي فى الآية موجه لقضية الشهادة نفسها ، والمطلوب هنا أن يؤمن المؤمنون بأن الشهيد (عموماً) هو حيّ برغم عدم إدراك الناس لذلك ، **وَأَلَّا يَقُولُوا إِنَّ الشَّهِيدَ** (الذى يعلمه على الحقيقة ربه) **ميت** .

فنحن نقول : إن من يُقتل فى سبيل الله هم أحياء دون تحديد لأعيانهم . قال تعالى : ﴿ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى ۝ ﴾ . والآيات كثيرة فى تحقيق المطلوب هنا .

٣. فرح بما آتاه الله من فضله .

٤. مستبشر بنعمة من الله وفضل .

٥. خلافاً للموتى العاديين .

### آل فرعون :

استثنى الله تعالى آل فرعون من قوانين الموتى . فسيتم عرضهم (دون جسدكم الدنيوى) على النار مرتين يومياً .

يقول فالق الحب والنوى :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ .

**يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا :** أى أن آل فرعون هم الذين يُعْرَضُونَ على النار لا العكس . وهو واضح ولكن ليس عند من اعتاد مضغ الباطل حتى يذهب طعمه عنده ويحسبه شيئاً آخر ، ولذا فسُئسهب قليلاً فى إيضاح ذلك :

يقول تعالى :

﴿ وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ ﴾ .

وهو ما يعنى عرض الناس على الله صفاً . ويقول الوهاب :

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ .

وهو ما يعنى عرض الجياد على نبي الله سليمان عليه السلام . ويقول الغفور :

﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۖ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ۖ ﴾ .

وهو ما يعنى عرض الظالمين على النار . ومثله قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ .

### ❁ غُدُّوا وَعَشِيَّا :

يقول سبحانه واصفًا حال أهل الجنة :

﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ❁ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ .  
فكما أجزل العطاء هنا فجعل بكرة وعشيًا ، جعل عرض آل فرعون أيضًا بكرة وعشيًا .

### إذن فآل فرعون :

١- يُعْرَضُونَ (بدون جسدهم الدنيوى) على النار .

٢- غُدُّوا وَعَشِيًّا .

٣- فهم يُعَذَّبُونَ معنويًا .

٤- خلافًا للموتى العاديين .

ومن يزد عن ذلك فهو مفترى على الكتاب ، وذلك كما فعل أهل الحكايات  
والقصص الذين قالوا بجهلهم :

١- إن النار هي التي تُعْرَضُ على آل فرعون .

٢- فى قبور آل فرعون .

٣- ويمتد العذاب لكل البشرية .

٤- فى قبور البشرية .

٥- وهم يُعَذَّبُونَ ماديًا .

٦- (٢٤) ساعة (خدمة ليلية) .

﴿سَعْدُ﴾ سَعْدُ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿سَعْدُ﴾

### الآية السادسة :

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَىٰ النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٠٦) .

تفسير الآية : لنتدبر أولاً مفردات الآية :

#### ﴿مُنَافِقُونَ﴾ :

فهم يُبطنون الكفر ويظهرون الإسلام . ويُحسبون من المسلمين بينما هم من الكفار . والمسلمون في المدينة تكبر دولتهم يوماً بعد يوم ، وتقوى شوكتهم ، وهو ما يُسبب عذاباً داخلياً رهيباً لهؤلاء المنافقين .

#### ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ﴾ :

والعذاب هنا يشمل شتى صنوف العذاب المادي المحسوس الواقع من الله على أبدانهم (٥٠٧) ، إضافة للعذاب المعنوي (٥٠٨) .

٥٠٦- سورة (٩) التوبة : ١٠١ .

٥٠٧ - فهؤلاء المنافقين على ضربين : ضرب أعلم الله تعالى نبيه والمؤمنين به كما قال سبحانه : ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتُمُ بِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ . وهذا الضرب أمر النبي ﷺ والمؤمنون بجهادهم ، وإيقاع العذاب بهم . يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ . والضرب الآخر لم يعلمه النبي ﷺ ولا أحد من الصحابة على الإطلاق ، وهم الذين تتحدث عنهم الآية محل البحث هنا .

٥٠٨ - ومن عذابهم المعنوي اضطرابهم لفعل ما لا يؤمنون به سترًا لموقفهم ، وخداعًا للمؤمنين ، كقيامهم للصلاة وهم يجرون أرجلهم جرًا : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة (٤) النساء : ١٤٢] .



## مَرَّتَيْنِ :

وهو يفيد أحد احتمالين ، وهما :

- ١- **التعدد للكيف** . وذلك كأن يُجمع لهم بين عذاب وآخر (مادى أو معنوى) .
- ٢- **التعدد للكم** . وذلك كأن يُضاعف لهم العذاب فيصير شديداً ، وأليماً ، وعظيماً . الخ ، وهذا مقرر بالقرآن . ويوضحه قوله تعالى :  
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ \* وَإِذَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ \* أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٥٠٩) .

ومعلوم بداهة أنه لو كان المقصود بإتيان الأجر مرتين هنا هو تكراره لكان يُفترض معه لزوماً تكرار الزمن المستوعب للأجر .

ولكن الناس سيعيشون يوم القيامة زمناً متكافئاً ، ما يدل على أن هذا ليس هو المطلوب من النص ، وإنما الحق أن الآية تتكلم عن مضاعفة الأجر الذى سيوضع بالطبع فى كفة ميزانهم ، ما سياترتب عليه علو الدرجة والمكانة يوم القيامة . ومعلوم أن الجنة درجات كما أن جهنم دركات .

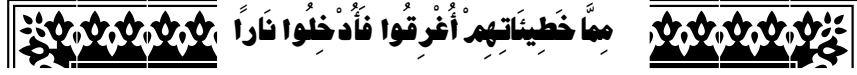
ونفس ما ذكرناه عن الآية ينطبق على غيرها ، كقوله من يهدنا الصراط المستقيم لأزواج النبى F :

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لَلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ .

الذى يعنى مضاعفة الأجر والثواب ، فضلاً وتفضلاً منه سبحانه .  
ونفس الشيء نجده هنا فى الآية عن عذاب المنافقين فى الدنيا ، فالعذاب إما أن يتعدد جسدياً ، أو كيفاً ، أو كمّاً .  
وسواء كان العذاب مادياً أو معنوياً ، أو مزيجاً منهما ، أو مضاعفاً فهو واقع عليهم مرتين قبل موتهم وانتقالهم للدار الآخرة .

---

٥٠٩- سورة (٩) التوبة : ١٢٦ .



### الآية السابعة :

﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ (٥١٠) .

**تفسير الآية :** لنتدبر أولاً مفردات الآية :

#### ﴿ أُغْرِقُوا ﴾ :

وهو العذاب الدنيوى الذى وصفته آيات عديدة من آيات الكتاب .  
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَذُجِّبْنَا وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَافًا وَأَغْرَقْنَا  
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْذَرِينَ ﴾ (٥١١) .

#### ﴿ فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ :

وهذه النار هى عذاب العصاة يوم القيامة المقرر لهم عمومًا . فالنار لم  
تُذكر بالقرآن إلا على سبيل العذاب الأخرى .  
والآية بذلك لا تحتاج لمزيد بيان عند المؤمن بالقرآن وحده .  
ولكن المؤمنون بالقرآن وغيره قالوا :

إن قصصهم تنصّ على أن الإتيان بالخطاب بصيغة الماضى فى قوله  
تعالى (فَأُدْخِلُوا نَارًا) تعنى عذاب القبر .

ولو استخدمنا نفس هذا المنهج الفاسد فى فهم الآيات فسيكون معنى  
قوله تعالى (مثلاً) :

---

٥١٠- سورة (٧١) نوح : ٢٥ .  
٥١١- سورة (١٠) يونس : ٧٣ .

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥١٢) .

هو أن أمر الله قد أتى فعلاً ، وأصبح من الماضي ، وأننا الآن نعيش عصر ما بعده !!

ولكانت هذه المشاهد التي تصور بعض أحداث يوم القيامة قد وقعت فعلاً ، مثل قوله ﷺ :

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ \* يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ \* أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ \* قَالَ هَلْ آنْتُمْ مِّطْلَعُونَ \* فَاطْلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ \* قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ \* وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ \* أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ \* إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (٥١٣) .

وقوله جلَّ شأنه :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ \* الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ \* وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ \* وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ \* أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا

٥١٢- سورة (١٦) النحل : ١ .

٥١٣- سورة (٣٧) الصافات : ٥٠ - ٦١ .

يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٥١٤﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥١٥﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١٦﴾

وكل ما سلف يحدث بصيغة الماضي لأحداث مستقبلية .

وكذلك قوله سبحانه ناقلًا بعض أحوال أهل جهنم :

﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴾ .

ونكتفى بما سبق لظهوره .







### الآية الثامنة :

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا \* وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا \* إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (٥١٥) .

### تفسير الآيات :

تتحدث الآيات عن محاولات المشركين مع الرسول ﷺ ليُفسدوا مهمته ، بل ودينه أيضاً ، فقد أغروا الرسول بأنهم سيتبعونه لو افترى على الله تعالى غير ما فى الكتاب ، ولكن الله تعالى ثبت رسوله ﷺ فلم يركن إليهم مطلقاً . ولنتدبر أولاً مفردات الآية :

### ﴿ لَأَذَقْنَاكَ ﴾ :

والذوق هو أحد الحواس التى يذغى أن يسبقها حياة لتعمل ، وهو واضح لا يحتاج للتوغل فيه . وعليه فإن الخطاب للرسول F عن ما كان سيحدث له **فى حياته** لو ركن لهؤلاء المشركين .

### ﴿ ضِعْفَ الْحَيَاةِ ﴾ :

إذن لأذاقه الله ضعف ما عاشه قبل ذلك فى حياة الاستقامة . إذ إن هذه الحياة الإيمانية هى التى تحسب كحياة .

### ﴿ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ :

٥١٥ - سورة (١٧) الإسراء : ٧٣ - ٧٥ .

أى وضعف ما سيعيشه بعد فى حال الركون إليهم إلى نهاية ما كان مقرراً له فى الأصل . إذ إن الركون إلى هؤلاء المشركين (تحت أى مسمى) يُفرغ الحياة من مضمونها ، ويُحوّلها إلى موت مؤجل ؛ يقول جلّ جلاله :

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ \* أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٥١٦) .

فبين سبحانه أن هؤلاء وإن كانوا كالأحياء أمام غيرهم ، إلا أنهم أموات عند الله .

ولو فعل الرسول ﷺ هذا المحذور وافترى على الله غير كتابه وهو المؤمن عليه لكان كذلك ، ولكن عناية الله كانت تحيطه ، وتثبيته سبحانه له كان سابقاً على محاولاتهم .

### **تنبيه رقم (٤) :**

ذهب **الدكتور إسماعيل منصور** إلى القول خطأً بأن الممات هو بخلاف الموت بناءً على عدم فهم قوله تعالى :

﴿قُلْ إِن صَّلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٥١٧) .

والحق أن الله تعالى قد وضح بكتابه أن الموت منه ما لا أجر عليه ، ومنه ما يؤجر عليه الميت ، وذلك بحسب حاله قبل الموت .  
فإن كان غير مؤمن فهو غير مأجور ، وإن كان مؤمناً صالحاً فهو

---

٥١٦- سورة (١٦) النحل : ٢٠ - ٢١ .

٥١٧- سورة (٦) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣ .

مطالب بأن يدعوا الله تعالى بأن يتقبل منه صلاته ونسكه ، ومحياه ، ومماته ، ولو لم يُتم ما كان سيفعله من طاعة لو لم يمت .

يقول من أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥١٨) .

ومثله قوله تعالى :

﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥١٩) .

ويوضحه أكثر قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاجِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٥٢٠) .

فقد وقع الأجر بدون تمام العمل ، ولذا فإن احتساب المؤمن لموته وحياته حال الطاعة يتناسب مع احتساب الله تعالى الأجر له وإن لم يُتمه .

---

٥١٨- سورة (٣) آل عمران : ١٥٦ - ١٥٧ .

٥١٩- سورة (٣) آل عمران : ١٥٦ - ١٥٧ .

٥٢٠- سورة (٤) النساء : ١٠٠ .



ومثلما سبق يقع قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا  
وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٥٢١) .

وهكذا .





### الآية التاسعة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٥٢٢) .

### تفسير الآيات :

تتحدث الآيات عن إغلاق أبواب السماء أمام المكذبين بآيات الله ، والمستكبرين عنها ، فلا يُقبل منهم دعاءٌ ولا سؤالٌ . ولنتدبر أولاً مفردات الآية :

### ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ :

المكذبون بآيات الله هم الكافرون ، يقول سبحانه :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٥٢٣) .

ويقول مالك يوم الدين :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (٥٢٤) .

---

٥٢٢- سورة (١٧) الإسراء : ٧٣ - ٧٥ .

٥٢٣- سورة (٥) المائدة : ١٠ .

٥٢٤- سورة (٧) الأعراف : ٣٧ .

## ❁ " لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ " :

**فلو نظرنا** (مثلاً) إلى أحد المكذبين بآيات الله مثل **فرعون** لوجدنا أن الله ﷻ يقول فيه :

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ (٥٢٥) .

وعندما جاءت لحظات النهاية ، وحلول الانتقام دعا فرعون ربه ، ولكن لم تُفَتَّحْ له أبواب السماء . يقول سبحانه :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ❁ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٥٢٦) .

وبالطبع فإن من هو مثل هذا المكذِّب لن يُقْبَلَ منه مثل هذه الدعوى ، ولن تُفَتَّحْ له أبواب السماء ، ومصيره إلى جهنم وبئس المهاد .

ويقول رب القرآن العظيم :

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ❁ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ❁ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ❁ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ❁ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ❁ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٥٢٧) .

٥٢٥- سورة (٢٠) طه : ٥٦ .

٥٢٦- سورة (١٠) يونس : ٩٠ .

٥٢٧- سورة (٣٩) الزمر : ٥٥ - ٦٠ .

ما يُبَيِّنُ نفس الحقيقة المتناثرة على سطور الكتاب ، وهى أن أبواب السماء مقفلة أمام الكفار المكذبين بآيات الله ، والمستكبرين عنها ، وهى كقوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ \* تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (٥٢٨) .

وقوله تعالى :

﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (٥٢٩) .

إن أبواب السماء لا تفتح إلا للعمل الصالح ، والكلم الطيب .

يقول من أعبد به وبه أستعين :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (٥٣٠) .

وبرغم هذا الوضوح إلا أن هناك من اعتبر أن هناك أبواباً فى السماء تُفَتَّحُ لتلج منها الأرواح (الوهمية كما حققنا ذلك) لكى تصعد لبارئها الذى يتكلم معها ، ثم تعود إلى القبر لتتنعم فيه بعد أن علمت مآلها ، ونتيجة أعمالها .

أما الروح الشريرة ، والآثمة ، والفاسدة ، والفاسقة ، والكافرة ،

---

٥٢٨- سورة (٢٣) المؤمنون : ٩٩ - ١٠٤ .

٥٢٩- سورة (١٣) الرعد : ١٤ .

٥٣٠- سورة فاطر : ١٠ .

والمشركة ، والمنافقة ، . الخ ، فلن تُفتح لهم هذه الأبواب ، وسوف  
تجدها مغلقة ، وموصدة ، وممتنعة ، ولا سبيل إليها ، فتعود الروح  
(الوهمية) إلى القبر (الوهمي) لتجد بالانتظار ، الحديد والنار ، ومنكر  
ونكير ، والعمل الأسود ، والشجاع الأقرع ، والضمة القبرية ، والسؤال  
القبرى ، والعذاب القهرى .

هذا هو معنى " لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ " عند أهل القصص  
والروايات .



﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ ﴾

### الآية العاشرة :

﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۖ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۖ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۖ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۖ ﴾ (٥٣١) .

### تفسير الآيات :

تتحدث الآيات عن انصراف الناس إلى عروض الدنيا حتى أنساهم ذلك ورودهم للمقابر . ولنتدبر أولاً مفردات الآية :

### ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾ :

والتكاثر يكون في عروض الدنيا ، يقول رب العالمين :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ (٥٣٢) .

ولكن الإنسان خُلِقَ لهدف أسمى . يقول مالك يوم الدين :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٣٣) .

### ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ :

٥٣١ - سورة (١٠٢) التكاثر : ١ - ٨ .

٥٣٢ - سورة (٥٧) الحديد : ٢٠ .

٥٣٣ - سورة (٥١) الذاريات : ٥٦ .

فإذا ما انشغل الإنسان عن الهدف الذى من أجله خُلِقَ بهذه العروض التافهة المؤقتة في الحياة القصيرة الزائلة ، فسيفاجأ بالآخرة ، وسيدركه الموت وهو مُفَرِّطٌ في جذب الله ، مُقَصِّرٌ في حق نفسه .

والقبر هو المرحلة الوسطى بين الحياة الدنيا وبين يوم القيامة :

﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ \* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ \* مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ \* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ \* ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ \* ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ (٥٣٤) .

❁ **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ :**

وهو تكرار يفيد التأكيد والجزم لما هو آت وإن لم يكن تحقق بعد ، وهو كقوله تعالى :

﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ (٥٣٥) .

❁ **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ :**

والكلام هنا عن أحد مراتب اليقين ، وهو مما يُشعر المتدبر لكتاب ربه بعظمة ودقة الكتاب ، وعظمة ودقة مُدْرَلُهُ سبحانه . إذ إن اليقين له مراتب ثلاثة ذكرت بكتاب الله (مستودع الحق والعلم) :

### **علم اليقين :**

وهو المرتبة الأولى (وهي الواردة هنا) . وهذه المرتبة تجعل صاحبها على درجة من الإيمان والتصديق تؤهله لرؤية ما غاب عنه في حياته الدنيا ، وما لا تُدركه الحواس من محيطات مادية .

---

٥٣٤ - سورة (٨٠) عبس : ١٧ - ٢٢ .

٥٣٥ - سورة (٨٩) النبا : ٧٨ .

والآية هنا تُعَلِّقُ رؤية الجحيم فى الدنيا على بلوغ هذه المرتبة .  
فالمؤمنون حقاً بما أتاهاهم الله من علم يرون الجحيم فى الحياة الدنيا  
بقلوبهم دون رؤيته بالبصر . أما الذين أَلْهَاهُم التكاثر حتى فوجئوا  
بالموت فهم لن يبلغوا هذه المرتبة مطلقاً ، وإنما سيضطرون للمرحلة  
التالية دون اختيار منهم ، وهى مرتبة :

### عين اليقين :

وهى المرتبة الثانية من مراتب اليقين ، وذلك عندما يواجه الإنسان  
ما كان يغيب عن حواسه قبلاً ، ويراه رأى العين . فإذا ما تعلق الأمر  
بالجحيم فإن هذه المرحلة لن تكون إلا يوم القيامة ، ولذا قال سبحانه :

﴿ ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ :

وذلك بعد أن حُشِرَ الناس فى صعيد واحد ، وجيءَ بجَهَنَّمَ أمامهم :

﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى ﴾ (٥٣٦) .

﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ :

فبمعاناة النار يبدأ الحساب ، ويُسأل الإنسان عن النعيم : ماذا أعد  
له ليناله ، ويتنعم به ؟

وبناءً على نتيجة هذه المرحلة (وهى مرحلة الحساب) تتبقى المرتبة  
الثالثة والأخيرة من مراتب اليقين ، وهى مرتبة :

### حق اليقين :

وذلك عندما يستغرق الإنسان فى معاينة ما رآه قبلاً فيستشعره بكل

٥٣٦ - سورة (٨٩) الفجر : ٢٣ .



حواسه وإدراكه . فإن كان ما رآه (مثلاً) نعيمًا فیتنعم به ویصیر بذلك إلى مرتبة حق اليقين . وإن كان ما رآه (مثلاً) عذابًا فیتعذب به ویصیر بذلك إلى مرتبة حق اليقين أيضًا .

يقول علام الغيوب :

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٥٣٧﴾ فَتَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٥٣٧﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ﴿٥٣٧﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥٣٧﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٣٧﴾﴾ .

وهذه المرتبة إذا ما تعلققت بالجنة أو النار فلن تكون قبل يوم القيامة بحال ، وهى أيضًا المرتبة الثانية من مراتب اليقين بهما فى الآخرة بعد مرتبة عين اليقين .

إذن فالذين ألهاهم التكاثر فغابت عنهم المرتبة الأولى حتى فوجئوا بالموت ، سوف ينتقلون للمرتبة الثانية ويرون جهنم رأى العين ، ثم يُحاسَبون على أعمالهم (الفاسدة) لينتقلوا إلى المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل اليقين بدخولهم جهنم ، والتألم بها . يقول ربى سبحانه :

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥٣٨﴾﴾ .

ويُقابل هؤلاء الذين أضاعوا أعمارهم فى التكاثر واللهو فريق آخر انتبه للهدف من وجوده فى الدنيا ، فأمن ، وعلم وهو فى الحياة الدنيا يقينًا بوجود الجنة والنار ، فعمل ما بوسعه لدخول الجنة والتباعد عن النار . يقول تعالى :

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

٥٣٧- سورة (٥٦) الواقعة : ٩٢ - ٩٦ .

٥٣٨- سورة (٧) الأعراف : ٥١ .

وَالْأَصَالُ \* رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٥٣٩﴾ .

فهؤلاء انتقلوا من علم اليقين بجهنم إلى عين اليقين بها ، ولكنهم لم ينتقلوا إلى حق اليقين بها .

**وبالتالى نستطيع أن نقول : إن كلا الفريقين له مع جهنم مرتبتان :**

**فالجهنميون** لهما مع جهنم مرتبتا عين اليقين وحق اليقين بها ، والمؤمنون لهما معها مرتبتا علم اليقين وعين اليقين بها .

أما الجنة فالجهنميون لا يبلغون أى مرتبة من مراتب اليقين بها ، فلا هم الذين علموا بها يقيناً ، ولا هى التى ستُعَرَضُ عليهم يوم القيامة ، ولا هم بداخليها مطلقاً .

أما **المؤمنون** فلهم معها مرتبتان وهما : مرتبة علم اليقين ؛ إذ كانوا يرونها فى الدنيا بقلوبهم ، ولذا عملوا لها . ثم انتقلوا للدار الآخرة ، فلم تُعَرَضْ عليهم (٥٤٠) ، وبالتالى فلم يجدوا مرتبة عين اليقين ، ثم فُتِحَتْ أبوابها ودخلوها فتحققت مرتبة حق اليقين مباشرة بعد مرتبة علم اليقين .

**هذا هو معنى الآيات من سورة التكاثر مرتبطة ببقية آيات الكتاب ، وبدلالات قطعية غير محتملة لغيرها ، فاية علاقة لها بالعذاب المكذوب فى القبر؟!**

٥٣٩ - سورة (٢٤) النور : ٣٦ - ٣٧ .

٥٤٠ - وإنما قربو منها بعد أن أُرْلِفَتْ لهم . يقول سبحانه :

﴿ وَأُرْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، و : ﴿ وَأُرْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ .

أما جهنم فقد نصَّ سبحانه على ظهورها للجميع فى مواضع عدة منها :

﴿ وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾ ، و : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا \* ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴾ .

## تنبيه رقم (٥) :

أخطأ الأستاذ الدكتور إسماعيل منصور فى معنى هذه الآية خطأ لا يُستهان به . وذاك أن طريقة الاستدلال نفسها حملت فى طياتها فساداً كبيراً أوقعه فيما ظل يُحذر غيره منه مئات المرات بكتابه .

يقول فضيلته :

" قوله تعالى ﴿ أَلَمَّا كُمُ النَّكَاتُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ يدل على أن اللهو والتفاخر بالنعم قد أفضى بالمخاطبين إلى زيارة المقابر ، والتفاخر كذلك بالموتى ، والتباهى بأمجادهم وأسمائهم " (٥٤١) .

وهو قول جد عجيب ، واستدلال لاريب مريب .

فكيف يكون معنى : " زرتم المقابر " ، هو : التفاخر بالموتى ، والتباهى بأمجادهم وأسمائهم .

ومن أين له هذا ؟!

وهل يتفضل علينا بتعريفنا مصادره التى بنى عليها لنستزيد منها ، وننهل من معينها ؟!

هل يُعقل أن يُقال عن مثل هذا الاستدلال أنه انبثق من علم ، أو جاوره حتى ، أو يلصق به ولو من مكان بعيد ؟!

ثم يستأنف فضيلته كلامه الغريب فيقول :

" وكل منصف يرى هذا الاضطراب الواضح بربطهم بين الآيتين الكريميتين بتفسير ( زيارة المقابر ) على أنها دخول ( الميت ) للقبر !!

٥٤١- انظر : شفاء الصدر بنفى عذاب القبر لإسماعيل منصور : (٤٥٢/١) .

وإذن ؛ فقد ظهر لنا أن هذا التفسير غير صحيح ، وليس له وزن ولا اعتبار لأنه يضر بمعنى المدلول اللفظي - المنتظم كقاعدة - للنص سياقاً ، وألفاظاً ! ويحدث اضطراباً شديداً وخلاً كبيراً في مدلول النص القرآني العظيم .

ويبقى المعنى المقبول (التفسير الصحيح) الموافق للسياق ، كما أشرنا إليه من قبل ؛ وهو : أن اللهو بالنعم والافتخار بالخيرات قد ألجأكم إلى الذهاب إلى المقابر ، استمراراً في تفاخركم بالإشادة بقبور الموتى وذكر فضائلهم وخيراتهم ! وكل ذلك غير مقبول منكم شرعاً لأنه عدول عن مهمات التكليف ، وتمسك بما لا قيمة حقيقية له " (٥٤٢) .

وهنا نجد في كلام فضيلته أربع مغالطات بخلاف ما سلف :

**١ . فاطغالطة الأولى :** أنه نصّ على وجود اضطراب في قول من قال بأن زيارة المقابر في الآيات هي بمعنى دخول الميت القبر ، ثم لم يبرهن على ما قال بل بنى عليه ، فهي إحالة على جهالة .

**٢ . واطغالطة الثانية :** أنه وصف هذا القول بأنه غير صحيح ولا وزن له برغم أنه ظاهر النصّ ، والدلالة القطعية للآيات خاصة إذا ما ضُمت لأخواتها المفيدات لذات المعنى .

**٣ . واطغالطة الثالثة :** قوله بأن من قال بأن زيارة المقابر في الآيات هي بمعنى دخول الميت القبر يضر بمعنى المدلول اللفظي - المنتظم كقاعدة - للنص سياقاً ، وألفاظاً ، برغم أن المتهم عنده لم يُزد عما جاء بالنصّ شيئاً من عند نفسه ، بينما جاء هو بمعنى لا يوجد في الآية ، ولا في السورة كلها ، بل ولا في القرآن كله ، وزيادة على ذلك فلا يقبلها عقل طفل حتى . فمن الذى يقبل تفسيره المتشاكس لآيات السورة ، والذى يلفت به المعنى لما توهمه علماً ، ويصير المعنى به هو :

٥٤٢- انظر : شفاء الصدر بنفى عذاب القبر لإسماعيل منصور : (٤٥٣/١) .

” ألهاكم التكاثر حتى ذكرتم فضائل من بالقبور ” !!؟

٤ . **والمغالطة الرابعة :** قوله بأن تفسيره هو الذى يبقى المعنى المقبول والتفسير الصحيح الموافق للسياق ، دون أن يُبرهن على دعواه .

ثم يسترسل فضيلته فى الوهم معنفاً مخالفه وواصفاً إياه بما يستحقه هو فيقول :

” مدلول كلمة ( زرتم ) : وهى منكورة كذلك فى النص الكريم : حتى زرتم المقابر . ويريد الذين يتبعون التخمينات والتبريرات أن يجعلوا معنى زرتم المقابر أى : دُفنتم فى المقابر ؛ هكذا لأنهم يريدون أن يتخذوا من النصّ دليلاً على شيء حياتى يحدث داخل القبر ، فلم يجدوا من سبيل إلى ذلك إلا هذا التفسير المخالف لمدلول آيات الله تعالى حتى يُحققوا مأربهم هذا .

ونحن نتمشى معهم ( على خطئهم ) من باب قبول الفرض الجبلى ؛ فنقول : هل يجد المنصف تعبيراً فى اللغة العربية على الإطلاق أو فى آيات الله البينات يجعلنا نقبل أن يُقال لنا : إن فلانا يزور المقابر اليوم لأنه مات وذهبوا به ليدفنه فيها ؟؟ هل يقبل عاقل مثل هذا ؟؟ نحن لا نعرف من أين يأتون بمثل هذه الأقوال الشاذة ( غير الصحيحة ؛ لغة ولا شرعا ) ليدخلوها فى معانى آيات الله تبارك وتعالى ضاربين بكل القواعد اللغوية والشرعية عرض الحائط ! فسبحان الله العظيم !! ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم !!.

إن كل النصوص الشرعية ، وحتى كل الأحاديث المروية فى هذه المسألة ( زيارة القبور ) نتجه فى نسق واضح يؤكد أن معنى زيارة القبور أو زيارة المقابر هو ذهاب الأحياء إلى المقابر للاعتاظ بالموتى وذكر الآخرة . وهذا هو المعنى الثابت الذى لا خلاف عليه . فمن أين جاءوا بهذه الأوهام والخرافات ؟؟ . ” .

وهنا نجد فى كلام فضيلته أربع مغالطات بخلاف ما سلف :

١ - **فاطالبة الأولى :** أنه وصف من قالوا : إن معنى زرتم المقابر  
أى : دُفنتم فى المقابر بأنهم يتبعون التخمينات والتبريرات .

وهو يُسلم له لو دُلل عليه ، وهو ما لم يفعله ، بل اكتفى بأوهامه  
التالية .

٢ - **فاطالبة الثانية :** أنه صنف من قالوا : إن معنى زرتم المقابر  
أى : دُفنتم فى المقابر بأنهم يريدون أن يتخذوا من النصّ دليلاً على  
شيء حياتى يحدث داخل القبر ، وهو غير حادث كما هو هنا . فهناك  
من يذهب للمعنى المذكور لاستقامته عنده مع السياق ومع بقية آيات  
الكتاب دون أن يقول بأن هناك شيء حياتياً داخل القبر .

٣ - **فاطالبة الثالثة :** أنه زعم بأن اللغة ليس فيها ما يقول بأن  
زيارة المقابر تعنى الموت ، وادعى بأن هذا غير صحيح لغة ولا شرعاً مع  
أننا لو عدنا إلى بعض كتب اللغة فسنجد أن فضيلته يجهل الآتى :

● يقول **ابن منظور** فى لسان العرب :

" ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ، أى حتى زرتم الأموات ، وقال  
غيره : ألهاكم التفاخر بكثرة العدد والمال حتى زرتم المقابر أى حتى  
متم ، قال جرير للأخطل : زار القبور أبو مالك ، فأصبح ألام زوارها  
(وفي رواية أخرى : فكان كالألم زوارها) فجعل زيارة القبور بالموت " (٥٤٣) .

● ويقول **الراغب الاصفهاني** فى مفردات غريب القرآن :

" ( حتى زرتم المقابر ) كناية عن الموت " (٥٤٤) .

٥٤٣ - انظر : لسان العرب لابن منظور : (١٣٢/٥) .

٥٤٤ - انظر : مفردات غريب القرآن للراغب الاصفهاني : (٣٩٠) .

● ويقول الشيخ **الطريحي** فى مجمع البحرين :

" قوله : ( حتى زرت المقابر ) يعني أدرككم الموت " (٥٤٥) .

● وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم المُعد من **مجمع اللغة العربية** بمصر :

" وزرتم المقابر : المراد دفنتم فيها " (٥٤٦) .

**فقول فضيلته :** " هل يقبل عاقل مثل هذا " أسفر تمحيصه عن أنه لن يجد هو عاقلاً يقبل مقالته هو .

**وقول فضيلته :** " نحن لا نعرف من أين يأتون بمثل هذه الأقوال الشاذة (غير الصحيحة ؛ لغة ولا شرعاً) " هو قول عارى من الصحة ، وليس كل ما يجهله فضيلته غير موجود ، والأولى لفضيلته هو أن يتثبت من أبحاثه قبل توزيع التهم على غيره وهو الأولى بها .

**وقول فضيلته :** " ليدخلوها فى معانى آيات الله تبارك وتعالى ضاربين بكل القواعد اللغوية والشرعية عرض الحائط " هو قول عارٍ من الصحة أيضاً هنا ، بل لا نتجاوز الحق إذا ما قلنا : إنه هو الذى ضرب ببعض القواعد اللغوية والشرعية عرض الحائط وبتأويل متهاافت لا يزن مثقال حبة من خردل من حق .

**٤ . والمغالطة الرابعة :** أنه زعم بأن من يخالفهم فى هذه الجزئية ضربوا بكل القواعد اللغوية والشرعية عرض الحائط . وبفرض صحة زعمه فكان الحق أن يُقال : إنهم خالفوا بعض هذه القواعد .

**٥ . والمغالطة الخامسة :** أنه زعم بأن كل النصوص الشرعية ، وكل الأحاديث المروية فى مسألة زيارة القبور تتجه فى نسق واضح

٥٤٥- انظر : مجمع البحرين للشيخ الطريحي : (٣٠٤/٢) .

٥٤٦- انظر : مجمع البحرين للشيخ الطريحي : (٥٣٥/١) .

يؤكد أن معنى زيارة القبور أو زيارة المقابر هو ذهاب الأحياء إلى المقابر للاتعاظ بالموتى وذكر الآخرة .

وهو كلام مضطرب يناقض ما سبق له تقريره ، وهو بالنص :

“ المعنى المقبول (التفسير الصحيح) الموافق للسياق ، كما أشرنا إليه من قبل ؛ وهو : أن اللهو بالنعم والافتخار بالخيرات قد ألجأكم إلى الذهاب إلى المقابر ، استمرارا في تفاخركم بالإشادة بقبور الموتى وذكر فضائلهم وخيراتهم ” .

فيا ترى بأى القولين يقول فضيلته وهو فى هذا التناقض ؟!

خاصة أنه قال عن آخر أقواله : “ وهذا هو المعنى الثابت الذى لا خلاف عليه ” .

**٥ . والمغالطة السادسة :** أنه زعم بأن مخالفيه يقولون بالأوهام والخرافات ، فأين الخرافة فى القول بأن معنى زيارة المقابر فى سياق الآية تعنى الموت ؟!

وهل الحق وعدم الخرافة هى فى أوهامه التى سطرها ؟!

### **نهاية الفصل :**

وبهذا العرض السريع ننتهى من التعليق على الآية العاشرة التى حاول مثبتوا عذاب القبر أن يعتزوا بها .

وبالانتهاء من هذا الفصل ننتقل للخاتمة ، ولا يفوتنى أن أذكر هنا أننى قد اضطررت للتعليق على بعض ما ورد بكتاب فضيلة الدكتور إسماعيل منصور (برغم صحة موضوعه) لكى لا يُحسب ما قاله على التدقيق والبحث العلمى ، وعلى آيات الكتاب ، وهو على ما أظن نفس دافعه لتأليف كتابه .



وأيضًا فالأخطاء عند فضيلته غير ما ذكرته واردة ، ولكن سأكتفى بما  
أوردته للتعليق الشديد بينه وبين ما تعرضت له من آيات .

وبهذا نكون قد انتهينا من الكتاب بفضل الله تعالى ، ونسأله التوفيق  
دومًا في كل أحوالنا ، وإلى الخاتمة بعد أن نذكر بخلاصة نقد الحديث  
العذابقبرى .

